أثَرُ الحَمْلِ على الظَّاهِرِ في النَّحْوِ الكُوفيِّ في تَفْسيرِ القُرْآنِ

د. محمد ياسين الشكري
جامعة كربلاء - كلية العلوم الاسلامية

فحوى البحث

اهتمت هذه الدراسة بتفسير كتاب الله العزيز من الجانب النحوي بوصفه المعيار الذي تتحدد في ضوئه التفاسير التي تكوّن المادة العلمية لهذه الدراسة، وهي: تفسير الطبري (جامع البيان)، وتفسير ابن ابي حاتم الرازي، وتفسير (بحر العلوم) للسمرقندي، ومُختصر القرآن، المعروف بتفسير (ابن زمنين) وتفسير الثعلبي (الكشف والبيان)، و(النكت والعيون) المعروف بـ (تفسير الماوردي)، و (التبيان) للشيخ الطوسي، و (تفسير القشيري) و تفاسير (الواحدي) الثلاثة.

وتتمثل أهمية البحث في كونه دراسة مستفيضة لظاهرة الحمل على الظاهر التي تعد أهم حقيقة انماز بها النحو الكوفي، وبيان اثرها في تفسير القرآن.

وقد عزز السيد الباحث آراءه بأمثلة من القرآن الكريم ختمها بما وصل اليه من نتائج.

التمهيد

علاقة علم النحو بالتفسير

ينبغي التأكيد على أنّ من يتصدى للخوض في مثل هذه المسائل، عليه أن يدرك مدى ارتباط علم النحو بالتفسير، إذ إنّ علم النحو من أهم الأدوات التي يوظّفها التفسير لفهم القرآن الكريم، وتتضح تلك العلاقة عبر نشأة علم النحو وارتباطها بالقرآن الكريم، فتعدد الروايات في نشأة النحو تدل جميعها على ارتباط نشأة علم النحو بشيوع ظاهرة اللحن، والخوف على كتاب الله من هذه الظاهرة، فدعت الحاجة الى وضع قواعد تحكم اللسان، وتصون القرآن من عادية اللحن التي قد تحرّف دلالة النص القرآني، وظاهرة اللحن وإن لم تكن في قراءة القرآن فقط، فإنّ تسربها الى قراءة القرآن نبّه على هذا الخطر الدائم، فغدت الحاجة ماسة الى وضع قواعد تُعيد الألسن التي اعوجّت الى اللسان العربي المستقيم. وبعد الحاجة الى وضع قواعد تضبط اللسان، وتصون قراءة القرآن، انطلق العلماء الى بناء هذا العلم، وكان القرآن الكريم رقعة العمـــل (مساحة العمل).

وأشار الزركشي(٧٩٤هـ) الى أن: التفسير علم يعرف به فهم كتاب الله المنزّل على نبيه محمدﷺ وبيان معانيه، واستخراج احكامه وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان واصول الفقه والقراءات[1] فعلم النحو من مصادر التفسير على وفق هذا التعريف، ووسيلة فهم كتاب الله، واستخراج معانيه واحكامه. وتتضح هذه العلاقة أيضا من طريق كتب المعاني والإعراب التي تمثّل مصادرَ يحتاج اليها المفسر، إذ يمكن أن تُعَدّ مرحلة التمهيد باتجاه التفسير.

الحمل على الظاهر

أولاً: المفهوم، وموقف الكوفيين منه:

تستعمل اللغة العربية أساليب متعددة في التعبير عن الشيء المطلوب. ومن هذه الأساليـــب اسلوب الحمل على اللفظ. وهو يمثّل الأصل في الكلام،

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ١/ ٣٣.

لأن الاصل مطابقة المعنى للفظ[٢]، وهو ألأولى لأنه الاكثر في كلام العرب[٣]، وعليه فهو ألاقوى من الحمل على المعنى وهو الاقوى من الحمل على الموضع أو المحل.

من هنا فان الحمل على اللفظ يعني الحمل على الظاهر وعدم اللجوء الى التأويل، ومتى أمكن حمل الالفاظ على ظاهرها فلا يجوز العدول بها عن ذلك، لأن الحمل على الظاهر أولى من التأويل وأقوى[٤]. ولهذا كانت القاعدة عند النحويين: أن الحمل على اللفظ أفصح وأكثر[٥] ونجد المبرد[٦] يعقد بابا تحت عنوان (مايُحمل على المعنى وحمله على اللفظ أجود).

والذي يخص البحث هو معنى الظاهر عند النحويين. وينبغي التذكير بوجوب احترام اللغة والنص عند أهل الظاهر، لأن النص حجة، واللغة هي الإطار العام للنص، ويجب الالتزام بها.

ولا نغفل أن مصطلح الظاهر قد استعمل بمعان مختلفة[٧]، فقد استعمل مقابلا للمقدر في وصف الإعراب، وقد يستعمل مقابلا للمضمر، وقد يستعمل وصفا للضمير في مقابل المستتر، وان كل هذه المعاني وان كانت تتصل بالمعنى الذي نحن بصدده بصلة، إلا أنها ليست المعاني المقصودة ، لأنها أوصاف للألفاظ والتراكيب وليست وصفا للمعنى، والمراد بالظاهر النحوي هنا: عدم جواز التصرف في النص بالزيادة او الحذف أو غير ذلك من تغير معنى اللفظ عن المعنى الـذي وضع له في أصل اللغة إلا بقرينة، أي أن هناك قواعد لايمكن تجاوزها، يحمل بهـا النص على ظاهره، وتتمثل بـ: عدم زيادة لفظ على النص، وعدم اهمال لفظ ورد في النص، وعدم تغيير موضع لفظ في النص، وعدم تغيير معنى لفظ ورد في النص عن المعنى الذي وضع له في أصل اللغة.

(٢) ينظر: الاشباه والنظائر في النحو: ١/ ٦٤.
(٣) ينظر: شرح التسهيل للمرادي: ٢٣٠.
(٤) ينظر: الانصاف في مسائل الخلاف: ١/ ٢٤٣.
(٥) ينظر: فقه اللغة المقارن، د/ السامرائي: ٨٢.
(٦) ينظر: المقتضب: ٣/ ٢٨.
(٧) ينظر: لسان العرب: ١٥/ ٣٦٤.

والتمعن بهذه القواعد يفضي الى أن ثلاثاً منها تتعلق بالتصرف في النص، والأخيرة تتعلق بالتصرف في اللغة، وصرف الفاظها عن الأصل الذي وضعت له. وهذه القواعد هي مايؤثر في الظاهر النحوي، وهي نفسها قواعد التأويل أو صوره. أي ان الظاهر النحوي يقصد به: مايتعلق بالتركيب والإسناد، ويشمل كل صفة وموصوف، ومضاف ومضاف اليه، ومبتدأ وخبر، وفعل وفاعل، وغير ذلك من التركيبات النحوية. وهذا يعني أن كل تأويل إنما هو مخالفةُ واحدةٍ من القواعد التي مر ذكرها، فإذا كانت المخالفة في باب من أبواب النحو كان ذلك التأويل نحوياً، لأن التأويل ماهو إلا تصرّف في النص بوجه من الوجوه[٨]. أي ان الحمل على الظاهر: إلزام بالأخذ بالكلام على ما هو عليه من غير تصرف أو تغيير، مما يعني أن يكون الأصل هو الكلام المنجز المادي، وان التأويل يقوم على دعوى وجود أصل آخر غير الصورة الظاهرة.

ومن جهة الإعراب، نجد ابن جني (٣٩٢هـ) بشأن معنى حمل النص على ظاهره، يقول: ((الكلام ما اتفق لفظه ومعناه، أي أن الكلام ملاق ظاهره باطنه، أي: لايكون لفظه على شيء، ومعناه على شيء))[٩]. وفي ذلك يقول السيوطي (٩١١هـ): ((اخذ النص بظاهر اللفظ وتجنب اللجوء إلى التأويل، لان الأصل مطابقة المعنى للفظ))[١٠] هذا ماقاله بعض أهل اللغة في معنى الحمل على الظاهر، وهو الكثير الجاري في لغة العرب.

أما في التفسير فالطبري (٣١٠هـ) يذكر في هذا الشأن[١١]:... وأجود التأويلين في ذلك، هو ما دل على ظاهر الآية، والتوجه بشكل جاد نحو تأويل القرآن إلى المشهور من كلام العرب أجود.

والحمل على اللفظ هو الأقوى يقول الرضي[١٢]: ((وإنما كان كذلك لأن

(٨) ينظر: التأويل النحوي في القرآن الكريم: ٨٢.

(٩) المحتسب: ١/ ٢٤٨.

(١٠) الأشباه والنظائر: ١/ ١٥٢.

(١١) ينظر: جامع البيان (تفسير الطبري): ٥/ ٢٧٠.

(١٢) ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٢/ ٥٥.

اللفظ اقرب إلى تلك العبارة المحمولة عليها من المعنى، إذ هو وَصْلَته إلى المعنى)) وهذا يعني أن تفسير الكلام بظاهره يوصل إلى المعنى الدقيق الموافق للفظ، وان ترك ظاهر النص والسعي وراء التأويل يفتح باب الاجتهاد في الفهم والتأويل، ومِن ثَمَّ يضعنا أمام احتمالات متباينة في معنى النص.

فمن مظاهر أثر النحو الكوفي في تفسير القرآن اعتماد المفسرين غالباً ظاهر القرآن بمفرداته وتراكيبه حجة في التفسير، وهم بهذا يخرجون القرآن من دائرة التأويل المبني في بعض صوره على التعسف والنزوع باللفظ الى غير مدلول الظاهر الى دائرة التفسير المبني على اعتبارات اللغة ودلالات الألفاظ والعبارات الجارية على أَلسنة المخاطبين بالنص القرآني، فهو يعبّر عن تمسكه بالظاهر بعبارات كثيرة في تفاسيرهم، على أن الطبري (ت٣١٠هـ) من أوائل المفسرين الذين تابعوا خطى الكوفيين في هذا الشأن، وكذلك الشيخ الطوسي (٤٦٠هـ)، إذ يقول[١٣] ((لاينبغي أن يترك الظاهر من غير حجة ولا دلالة))، وقوله: ((إنّ ماقالوه ترك للظاهر))، وقوله: ((هذا ضعيف لأنه خلاف الظاهر قليل الاستعمال)). وهو فضلا عن هذا يأخذ بالأظهر من مفهوم اللفظة او العبارة عند تفسيرها، وعندما تحتمل أكثر من دلالة (لغوية وشرعية)، فيأخذ بالمتبادر منهما، الذي يفهم عن قرب ويترك الآخر[١٤]. إن الدعوى الى حمل النصوص على ظاهرها التي نادى بها الكوفيون من أجل تحاشي كل التعقيدات التي لامسوِّغ لها في التأويل تركت أثرها بوضوح على المفسرين.

ثانياً: مواضع الحمل على الظاهر:

يُعَدُّ هذا المبحث الغاية المتوخى تحقيقها، لأنه يمثل المرتكز الأساس للنحو الكوفي، ولأنه يكشف عن مدى تأثر المفسرين بالنحو الكوفي، فهو الطريق الذي يظهر فيه أثر التراث النحوي في

(١٣) التبيان في تفسير القرآن: ٣/ ١١٠، و: ١/ ٢٥٣، و: ١/ ٣٦٨.

(١٤) التبيان في تفسير القرآن: ٥/ ٢٢٩، و: اصول النحو العربي: ٥٨ ومابعدها.

الكوفة في تفسير القرآن. إذ فيه كشف عن أكثر من ثلاثين موضعاً من مواضع النحو الكوفي الرامية إلى عدم اللجوء إلى التأويل والتقدير (مواضع الحمل على الظاهر)وقد تابعهم المفسرون في ذلك، على أنَّ المواضع التي حملها الكوفيون على الظاهر في القرآن الكريم كثيرة جداً، إلاّ انّ المواضع التي في هذا المبحث يتفق عليها أغلب المفسرين، للمتابعة الدقيقة لعدد من التفاسير وتحديد المواضع النحوية التي تابع فيها هؤلاء المفسرون للكوفيين.

١. استعمال الإشارة بمعنى الموصول(*):

يكاد يتفق المفسرون عبر متابعة دقيقة لتفاسيرهم على جواز استعمال اسم الاشارة بمعنى الاسم الموصول (وهذا مذهب كوفي). فإذا ذهبنا الى الطبري(٣١٠ هـ) في تفسيره(جامع البيان) نجده[١٥] تابع الكوفيين في هذه المسألة من قوله عند تفسيره لقوله تعالى﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾[سورة طه: ١٧] فالباء في قوله -بيمينك-من صلة تلك، والعرب تصل (تلك، وهذه)كما تصل (الذي). وقد ذهب الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ) في تفسيره (التبيان في تفسير القرآن) الى ذلك في أكثر من موضع من تفسيره[١٦]، وتابع كلٌ من السمرقندي (ت٣٧٥هـ)[١٧]، وإبن زمنين (ت٣٩٩هـ)[١٨]، والواحدي (ت٤٦٨هـ) تابع الكوفيين بالقول بجواز استعمال الإشارة بمعنى الموصول[١٩].

و يبدو أن ذهاب الكوفيين الى هذا الجواز لم يأتِ من فراغ، بل جاء نتيجة لتوسعهم في الرواية وأخذهم من جميع

(*) مذهب كوفي، ينظر: معاني القرآن للفراء: ١/ ١١٧، ١٣٨ -١٣٩، و: ٢/ ١٧٧وشرح المفصل: ٢/ ٤٢ و: الانصاف: ٢/ ١٨٣، ٧١٧.

(١٥) ينظر: جامع البيان (تفسير الطبري): ١٦/ ١٥٣، و: ١٦/ ١١٦، و: ٢/ ١٩٩، و: معاني القرآن الفراء: ٢/ ١٧٧.

(١٦) ينظر: التبيان في تفسير القران: ٧/ ١٦٤، و: ٢/ ٤٨٠.

(١٧) ينظر: تفسير بحر العلوم: ٣/ ٩٠.

(١٨) ينظر: تفسير ابن زمنين: ١/ ٢٠.

(١٩) ينظر: تفسير الوجيز: ١/ ٥٠٢، و: ١/ ١٠١.

القبائل العربية[٢٠]، اذ انهم عضّدوا مذهبهم بقول الشاعر الحميري.

وتابع المحدثون في دراساتهم ما ذهب إليه الكوفيون في جواز مجيء أسماء الإشارة موصولة، من دون أي إشارة من تلك الدراسات إلى أن هذه القاعدة النحوية للكوفيين. فالمستشرق الألماني (براجستر اسر) وفي باب (اسماء الاشارة) من كتابه يقول: ونضيف اليها الاسم الموصول، فانه في الاصل من اسماء الاشارة ايضاً، واسم (ذو) بمعنى صاحب، فانه قريب من اسماء الاشارة[٢١].

وان الذي ذهب اليه الفراء من قول بأن (هذا) بمعنى (الذي) يحمل اشارة واضحة الى اصالة التفكير النحوي عند الكوفيين منذ ذلك الحين، وفيه دلاله على البعد الفكري وعمق التفكير اللغوي للفراء خاصة، والكوفيين عامة.

ومن هنا نلحظ ان الكسائي تعامل مع الواقع اللغوي بعد ما اضفى عليه التطور اشياء جديدة، فرسم للكوفيين رسوماً تمثل مذهباً نحويا اخذوا يعملون بها كما ورد ذلك عن ابي الفرج الأصفهاني[٢٢] حتى استكملت اصول المذهب على يد الفراء وبعده ثعلب، ثم الطبري الذي جاء في تفسيره لإبراز واظهار هذا المذهب.

٢. جواز نداء اسم الاشارة(*):

وهذا من القواعد النحوية التي وضعها الكوفيون وعمل بها مفسرو القرون الثالث والرابع والخامس للهجرة؛ وذهب الطبري الى ذلك[٢٣]

(٢٠) ينظر: النحو الكوفي في تفاسير القرآن في القرون الثالث والرابع والخامس للهجرة: ٣٨ وما بعدها، رسالة دكتوراه، جمهورية العراق، جامعة الكوفة، كلية الآداب.

(٢١) ينظر: التطور النحوي: ٨٣ (براجستراسر، ترجمة رمضان عبد التواب).

(٢٢) ينظر: ألأغاني: ١١/ ١٠٢.

(*) مذهب كوفي، ينظر: شرح المفصَّل: ٢٩٤-٣٩٤، و شرح الرضي على الكافية: ٣/ ٣٢، و: ٢٢١ اعراب القرآن للنحاس: ١/ ٣٩١.

(٢٣) ينظر: جامع البيان (تفسير الطبري): ٢/ ٣٠٣.

ففي تفسير قوله تعالى﴿ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ ﴾ [سورة البقرة: ٨٥]، ذكر: ان قوله تعالى يحتمل وجهين، أحدهما: ان يكون أُريد به: ثم انتم يا هؤلاء، فترك (يا) استغناءً بدلالة الكلام عليه، كما قال الله تعالى﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴾ [سورة يوسف: ٢٩]، وتأويله: يايوسف أعرض عن هذا.

وقد ذهب الشيخ الطوسي الى ذلك الجواز[٢٤]، وتابعهم في ذلك الثعلبي (ت ٤٢٧هـ)[٢٥]، والسمرقندي[٢٦]، وإبن زمنين[٢٧]، والواحدي[٢٨]. ويبدو أن رأي الكوفيين في هذه المسألة هو الأقرب الى طبيعة اللغة وروحها، إذْ تجسَّد ماذهبوا اليه في النصوص القرآنية التي تمثِّل قمة النصوص العربية.

٣. عمل (هذا -هذه -هؤلاء) عمل كان واخواتها[*]:

قال الفراء في هذا الشأن: ((العرب اذا جاءت الى اسم مكنى قد وصف بـ (هذا او هذان او هؤلاء) فرقوا بين (ها) وبين (ذا) فجعلوا المكني بينهما، وذلك في جهة التقريب لا في غيرها))، أي ان التقريب: مصطلح كوفي يدل على جعل هذه الالفاظ من (اخوات كان) في العمل إذ يرون أن المرفوع بعد اسم الاشارة يُخبر عنه بالمنصوب، ولو أُسقط اسم الاشارة لم يختل المعنى.

ويبدو أنَّ الغاية من هذا هي حمل النص على الظاهر طلبا للتيسيرً. وذهب الطبري في تفسيره قوله تعالى ﴿ هَٰٓأَنتُمْ أُولَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ ﴾ [سورة آل عمران: ١١٩]، الى ذلك القول[٢٩]. وتابعهم الشيخ الطوسي في

(٢٤) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ١/ ٣٣١، و: ينظر: الكتاب: ١/ ١٦٢ومابعدها.

(٢٥) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ١/ ١٧٦و: ينظر: معجم القراءات القرآنية: ١/ ٨١.

(٢٦) ينظر: تفسير بحر العلوم: ١/ ٧٧.

(٢٧) ينظر: تفسير ابن زمنين: ١/ ٢٠.

(٢٨) ينظر: تفسير الوجيز: ١/ ٢٤.

(*) مذهب كوفي، ينظر: معاني القرآن للفراء: ١/ ٢٣١، و: همع الهوامع: ١/ ١١٣ و: المصطلح النحوي: ١٣٣.

(٢٩) ينظر: جامع البيان (تفسير الطبري):

أكثر من موضع من تفسيره[٣٠]، وكذلك الثعلبي[٣١].

٤. عملُ (مالك -مابالك -ماشأنك) عملَ (كان وأخواتها)[*]:

مذهب كوفي، اذ أشار الكوفيون الى: نصب (فئتين) من قوله تعالى ﴿ فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ ﴾ خبرا لـ(مالكم)، وقد تابعهم المفسرون في هذا القول، اذ نجد الطبري[٣٢] يذكر في تفسير قوله تعالى ﴿ فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ ﴾[سورة النساء: ٨٨] اختلاف اهل العربية في نصب قوله (فئتين) فقال بعضهم: التصب على الحال، وهذا قول بعض البصريين. وقال بعض نحويي الكوفة: (فئتين) منصوب على فعل (مالك)، قال: ولاتبال أكان المنصوب في (مالك) معرفة او نكرة. قال: ويجـــوز في الكلام ان تقول: (مالك السائر معنا)، لأنه كالفعل الذي ينصب بـ (كان) و (اظن) وما اشبههما، قال: وكل موضع صلحت فيه (فعل) و (يفعل) من المنصوب، جاز نصب المعرفة منه والنكرة، كما تنصب (كان) و (اظن)، لأنهن نواقص في المعنى وإن ظننت إنهن تامات[٣٣].

وذهب الشيخ الطوسي[٣٤] متابعاً الطبري والكوفيين بالقول في هذه المسألة، وأيضا السمرقندي[٣٥] فهو الآخر تابع الذين سبقوه، وكذلك الثعلبي[٣٦]، والواحدي[٣٧].

٥. دلالة الرجاء المصاحب للجحد على الخوف[*]:

٧/ ١٤٩ و: ١٢/ ٨٥ و: ٢٦/ ٦.

(٣٠) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٢/ ٥٧٢، و: ٢/ ٤٩٠.

(٣١) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ٢/ ١١.

(*) مذهب كوفي، ينظر: معاني القرآن للفراء: ١/ ٢٨٨، ٢٤٣، و: اعـراب القـرآن للنحاس: ١/ ٤٤٢.

(٣٢) ينظر: جامع البيان (تفسير الطبري): ٨/ ١٤.

(٣٣) ينظر: معاني القرآن للفراء: ١/ ٢٨٨.

(٣٤) ينظر: التبيان في تفسير القـرآن: ٣/ ٢٨٠.

(٣٥) ينظر: تفسير بحر العلوم: ١/ ٤٠٨.

(٣٦) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ٣/ ٤٨.

(٣٧) ينظر: تفسير الوجيز: ١/ ١٣٣.

(*) ينظر: معاني القرآن للفرّاء: ١/ ٢٨٦، و: ٢/ ٢٦٥، و: مجالس ثعلب: ١/ ٢٤٨، و: لسان العرب (مادة: رجا).

قال الفراء[٣٨]: الرجاء في معنى الخوف لايكون الا مع الجحد، تقول: مارجوتك، أي: ماخفتك، ولاتقول: رجوتك، بمعنى خفتك، وهي لغة حجازية، وتهامية.

وتابعهم المفسرون في هذه المسالة، فنجد الطبري في أكثر من موضع في تفسيره[٣٩] يذهب الى ذلك، ففي تفسير قوله تعالى﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ [سورة نوح: ١٣]، يذكر: أن المعنى: مالكم لاتخافون لله عظمة، وذلك ان الرجاء قد تضعه العرب إذا صحبه الجحد في موضع الخوف.

وذهب الشيخ الطوسي[٤٠] الى ماذهب اليه الكوفيون بهذا القول، وكذلك السمرقندي[٤١] فهو الآخر تابع الكوفيين بهذا القول، وتابعهم الماوردي[٤٢] والثعلبي[٤٣] والواحدي[٤٤].

٦. التناوب بين الحروف والأدوات[*]:

ان مبحث الحروف والأدوات، من مباحث علوم القرآن المهمة ًالتي يحتاج اليها المفسر، وفي هذا الشان قال الزركشي[٤٥]: ((والبحث عن معاني الحروف مما يحتاج اليه المفسر لاختلاف مدلولها)). ومن اكثر الحروف والأدوات اتساعاً وشهرةً من حيث تعدد المعاني حروف الجر، ذلك لأنها تركت اثراً دلالياً في تفسير كلام الله، اذ وردت في القرآن الكريم بكثرةً، وبمعان مختلفة، واستعملها المصنفون في إبراز معنى الآية وإيضاحها. فذهب الطبري الى القول بذلك التناوب[٤٦] في تفسير قوله

(٣٨) ينظر: معاني القرآن للفراء: ١/ ٢٨٦، و: ٢/ ٢٦٥.
(٣٩) ينظر: جامع البيان (تفسير الطبري): ٣٢/ ٦٣٥، و: ١٥/ ٢٦٥.
(٤٠) ينظر: التبيان في تفسير القران: ٣/ ٢٨٠، و: ٥/ ٣٣٥، و: ١٠/ ١٣١.
(٤١) ينظر: تفسير بحر العلوم: ٤/ ٣٣.
(٤٢) ينظر: تفسير النكت والعيون: ٢/ ١٥٨.
(٤٣) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ١٣/ ٣٨١، و: ٧/ ٧.
(٤٤) ينظر: تفسير الوجيز ١/ ١٠٤٥، و: ١/ ٣٠٩.
(*) مذهب كوفي، ينظر: معاني القرآن للفراء: ١/ ٢١٨، و: ١/ ٣٢٤ و: مغني اللبيب: ١/ ٧٥، و: مدرسة الكوفة: ٢٨٢، ٣٢٣: والحروف العاملة في القرآن: ٣٨١.
(٤٥) البرهان في علوم القرآن: ٢/ ١٧٥.
(٤٦) ينظر: جامع البيان (تفسير الطبري): ٦/ ٤٤٣، و: ٧/ ٥٢٨.

تعالى﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[سورة آل عمران: ٥٢]، عندما ذكـــر أنقوله (الى الله) بمعنى: (مع الله)[٤٧].

وذهب الى جواز مجيء (على) بمعنى (من) عند تفسير قوله تعالى﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ﴾ [سورة المؤمنون: ٥ -٦]. و جواز مجيء (على) بمعنى (في) عند تفسير قوله تعالى﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَوۡلَيَٰنِ ﴾[سورة المائدة: ١٠٧]، اذ ذكر: قوله(عليهم) معناه: (فيهم)[٤٨]. وذكر الطبري أن: (في) توضع موضع (على)، و (على) موضع (في)، كل واحدة تعاقب صاحبتها في الكلام كما في قوله تعالى﴿ أَمۡ لَهُمۡ سُلَّمٞ يَسۡتَمِعُونَ فِيهِ ﴾ [سورة الطور: ٣٨]، فأن: (فيه) بمعنى (عليه)[٤٩].

وذهب الطبري الى جواز مجيء (او) بمعنى (بل -والواو) لورودها في القرآن الكريم في قوله﴿ وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ ﴾ [سورة الصافات: ١٤٧]، فذكر عن ابن عباس انه كان يقول: معنى قوله (او يزيدون): بل يزيدون[٥٠]. وفي قوله تعالى﴿ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗ ﴾ [سورة البقرة: ٧٤]، ذهب الطبري الى ذلك[٥١]، وفي آيات اخرى.

وقال الطبري بجواز مجيء (لام كي) بمعنى (أن)[٥٢]، عند تفسير قوله تعالى ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ ﴾ [سورة النساء: ٢٦]، ذكر الطبري: أن (اللام) في قوله ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ ﴾ بمعنى: يريد الله أن يبين لكم، وذكر ذلك في مواضع أخرى من تفسيره.

ويتفق الشيخ الطوسي مع النحويين الكوفيين[٥٣] في عدّهم تناوب الحروف

(٤٧) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ١٦/ ٣٧٥.
(٤٨) ينظر: جامع البيان: ٧/ ٧٩، ١١١، و: ٤/ ٨٨، ١٤٢، و: ١٢/ ١٦، و: ٢٥/ ١١، و: ٤/ ٨٨، و: ١٢/ ١٦.
(٤٩) ينظر: م. ن: ٢٢/ ٤٨٣ -٤٨٣.
(٥٠) ينظر: م ن: ٢١/ ١١٥.
(٥١) ينظر: م. ن ١/ ٣٣٦، و: ٢/ ٢٣٤ -٢٣٥.
(٥٢) ينظر: معاني القرآن للفراء: ١/ ٢٦٢، و: الجنى الداني: ١١٥و: همع الهوامع: ٤/ ١٤٠، و: جامع البيان: ١١/ ٤٥.
(٥٣) ينظر: معاني القرآن للكسائي: ١٣٢، و:

والادوات من مظاهر الحمل على الظاهر من أجل الابتعاد عن التقدير والتأويل، للسعي باتجاه التيسير، فتابعهم في ذلك الجواز. عندما قال[٥٤] بجواز مجيء (لام كي) بمعنى (أن)، وكذلك[٥٥] جواز مجيء (لعل) بمعنى (كي)، وأيضاً[٥٦] جواز مجيء (هل) بمعنى (قد)، وقال[٥٧] بجواز مجيء (لولا) بمعنى (هلا)، وجواز مجيء (مَنْ الاستفهامية) موصوله[٥٨].

وتابعهم السمرقندي في ذلك القول[٥٩] [٦٠]، وفي جواز مجيء (في) بمعنى (على)، وذهب الى جواز مجيء (على) بمعنى (من)، وأجاز مجيء (من) بمعنى (الباء)، ففي تفسير قوله تعالى ﴿ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ﴾ [سورة الشورى: ٤٥]، ذهب الى أن المعنى: ينظرون بقلوبهم[٦١]. وذهب السمرقندي[٦٢] الى جواز مجيء (او) بمعنى (الواو) و(بل). وجواز مجيء (لعل) بمعنى (كي)[٦٣]، وذهب كذلك الى جواز مجيء (هل) بمعنى (قد)[٦٤]، وجواز مجيء (لولا) بمعنى (هلا) عند تفسير قوله تعالى ﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا ﴾[سورة الأنعام: ٤٣] حين قال: قوله تعالى ﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم ﴾ بمعنى: (فهلا اذ جاءهم عذابنا)[٦٥]. وتابعهم الثعلبي[٦٦]، فأشار الى جواز مجيء (الى)

معاني القرآن للفراء: ١/ ٢١٨، و: التبيان في تفسير القرآن: ٢/ ٤٧٢.

(٥٤) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٣/ ١٧٣.

(٥٥) ينظر: م. ن: ٧/ ١٣٨، و: ٣/ ٥٨٩، و: ٤/ ١٣٥، و: ١/ ٩٧.

(٥٦) ينظر: م. ن: ١/ ٩٧.

(٥٧) ينظر: معاني القرآن للفراء: ١/ ٣٢٤، و: التبيان في تفسير القرآن: ٥/ ٢٩٣، و: ٣/ ١٤٤، و: ٣/ ٢٦٠، و: ٤/ ١٣٥.

(٥٨) ينظر: م. ن: ٢/ ٢٦، و: م. ن: ٦/ ٥٣، و: ٤/ ٢٨٣.

(٥٩) ينظر: تفسير بحر العلوم: ٢/ ٧٠٩١.

(٦٠) ينظر: م. ن: ٤/ ٢٠٤، و: ٢/ ٣٢.

(٦١) ينظر: م. ن: ٤/ ١٠٠، و: ٣/ ٤٠٧.

(٦٢) ينظر: م. ن: ٤/ ٣٠٥، و: ١/ ٧٠، و: ٢/ ٤٧٧، و: ١/ ٢٤.

(٦٣) ينظر: م. ن: ٢/ ٣٥، و: ١/ ٥٥، و: ١/ ٣١٢.

(٦٤) ينظر: م. ن: ٤/ ٣٥١.

(٦٥) ينظر: م. ن: ٢/ ٣٥.

(٦٦) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ٣/ ٣٣٠، و: ١١/ ٣٤٨، و: ١١/ ٣٤٩-٣٥٠.

بمعنى(مع)، وجواز[٦٧] مجيء (لام كي) بمعنى (أن)، وجواز مجيء (لولا) بمعنى (هلا).

وذهب الماوردي (٤٥٠هـ) الى القول بذلك الجواز[٦٨]، ففي تفسير قوله تعالى ﴿ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [سورة آل عمران: ٥٢]، وقوله تعالى ﴿ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا ﴾ [سورة النساء: ٢]، ذكرأن (من) بمعنى (مع). وذهب الى جواز[٦٩] مجيء (من) بمعنى (الباء) في تفسير قوله تعالى ﴿ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ ﴾[سورة الرعد: ١١]. وجواز[٧٠] مجيء (او)بمعنى (الواو –بل) وجواز[٧١] مجيء (هل) بمعنى (قد).

وتابعهم الواحدي (٤٦٨ هـ)، فذهب الى جواز مجيء (الى) بمعنى (مع) في تفسير قوله تعالى﴿ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [سورة آل عمران: ٥٢]، فذكر[٧٢] أن: معنى قوله تعالى ﴿ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾، أي: من انصاري مع الله، وجواز مجيء (من) بمعنى (الباء)، في تفسير قوله تعالى ﴿ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ ﴾ [سورة الرعد: ١١][٧٣]، وقد اجاز[٧٤] مجيء (او) بمعنى (الواو –بل) في تفسير قوله تعالى ﴿ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗ ﴾ [سورة البقرة: ٧٤]، وذهب الى جواز[٧٥] مجيء (في) بمعنى (على)، وجواز[٧٦] مجيء (في) بمعنى (الى)، وجواز[٧٧] مجيء (من) للغاية الزمانية. وذهب الى جواز[٧٨] مجيء (لولا) بمعنى (هلا)، وجواز[٧٩] مجيء (لعل) بمعنى (كي)، وجواز[٨٠] مجيء

(٦٧) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ٣/ ٣٨٩، و: ١٣/ ٤٥٠، و: ٧/ ٦٣.
(٦٨) ينظر: تفسير النكت والعيون: ١/ ٢٧٣.
(٦٩) ينظر: م. ن: ٢/ ٣٠٢.
(٧٠) ينظر: م. ن: ١/ ٦.
(٧١) ينظر: م. ن: ٤/ ٣٦٠.
(٧٢) ينظر: تفسير الوجيز: ١/ ٨٩.
(٧٣) ينظر: م. ن: ١/ ٣٨٠.
(٧٤) ينظر: م. ن: ١/ ٧٩١.
(٧٥) ينظر: م. ن: ١/ ٥١٠، و: ١/ ١٦١.
(٧٦) ينظر: م. ن: ٣/ ٢٠٨.
(٧٧) ينظر: م. ن: ٨/ ٨٨، و: ١٤/ ٤٧.
(٧٨) ينظر: م. ن: ١/ ٤٠، و: ١٨/ ٣١٣، و: ٧/ ٢٠٤، و: ١/ ١٧ –١٨، و: ١/ ١٨٥.
(٧٩) ينظر: م. ن: ١/ ١٦٧.
(٨٠) ينظر: م. ن: ١/ ١٨٥، و: ١/ ٣٦٨، و: ١/ ١٨٤، و: ١/ ٤٧١.

(هل) بمعنى (قد).

٧. جواز اضافة الشيء الى نفسه اذا اختلف اللفظان(*):

تابع الطبري في تفسيره الكوفيين في جواز اضافة الشيء الى نفسه اذا اختلف اللفظان، أي: (اضافة المنعوت الى نعته وبالعكس)، ولقد ذهب الطبري الى ذلك الجواز في تفسير قوله تعالى ﴿ يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾ [سورة فاطر: ٤٣]، اذ أشار(٨١):... وأضيف المـــكر الى السيء، والسيء من نعت المكر، كما قيل ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴾ [سورة الواقعة: ٩٥].

لكن الباحث يرى: أن السيء ليس هو المكر، فثمة مكر من الله تعالى ﴿ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [سورة آل عمران: ٥٤]، أي أن المكر نوعان: مكر محمود كما تقدم ذكره في النص القرآني، ومكر سيء هو الذي ورد في قوله تعالى ﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾ [سورة فاطر: ٤٣].

وتابعهم الشيخ الطوسي(٨٢) في تفسير قوله تعالى ﴿ فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴾ [سورة ق: ٩]، إذ أشار الى ذلك بقوله: الحب هو الحصيد، وانما اضافه الى نفسه، كما قال (حق اليقين)، وكما قالوا: مسجد الجامع وغير ذلك.. وفي تفسير قوله تعالى ﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾ [سورة فاطر: ٤٣] ذكرالشيخ الطوسي أن: (المكر السيء) كما في (الحق اليقين)، أي: ان المكر هو السيء، والسيء هو المكر، فاضيف الى نفسه لاختلاف اللفظ، ويرى الباحث عدم صحة هذا القول. وذهب الماوردي(٤٤٥هـ) الى القول بذلك الجواز(٨٣)، وكذلك الثعلبي (٤٢٧ هـ)

(*) مذهب كوفي، ينظر معاني القرآن للفراء ٣/ ٧٦، و: شرح المفصَّل لآبن يعيش: ٣٢٩ -٣٣٣، و: الانصاف في مسائل الخلاف: مسألة: ٦١.

(٨١) ينظر: جامع البيان (تفسير الطبري): ٢٣/ ١٦٤، و: ١٣/ ٥٢.

(٨٢) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٣/ ٧٦-٧٧، و: التبيان في تفسير القران: ١٠/ ١٠٥، و: ٤/ ١٢٥، و: ٩/ ٥٠٢.

(٨٣) ينظر: تفسير النكت والعيون: ٤/ ١٥٨.

هو الآخر قال به[٨٤].

ويرى الباحث أن هذه الإضافات عند الكوفيين يراد منها التخفيف. والذي يلحظ على اجازة الكوفيين في إضافة المنعوت الى نعته خاصة، هو انها تجري قياساً على ظاهر النص القرآني وما جاء من كلام العرب دون التشبث في التأويل، وهذا مظهر اسلوبي جاء منه فيض كثير في الاستعمال القرآني، فمنه قوله تعالى ﴿ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ﴾ [سورة الرعد: ١٣]، فـ(دعوة الحق)من اضافة الموصوف الى الصفة، والتقدير: لله الدعوة الحق. وعليه فان اضافة المنعوت الى نعته استعمال لغوي صحيح أكَّدَه القرآن الكريم، وربما يحمل هذا الاستعمال على الاتساع (أي يتسع في النعت الى المنعوت) فيستعمل استعمال الاسماء مجازاً فيضاف الى المنعوت[٨٥]، وربما يراد من اضافة المنعوت الى نعته اغراض، منها: الايحاء الى دلالة معينة. وهذا الاستعمال يكون على وجه التاكيد والبيان، والدليل على هذا قوله تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [سورة التوبة: ٩٨]، فاضافة المنعوت (الدائرة) الى النعت (السوء) على وجه البيان والتاكيد، اذ هو بمنزلة قولنا: شمس النهار، فلو لم يذكر السوء لعلم المعنى بلفظ الدائرة[٨٦].

وقد يراد من هذا الاستعمال دلالته على (الاختصاص) كما في قوله تعالى ﴿ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾ [سورة آل عمران: ١٥٤]. فـ(ظن الجاهلية): من اضافة الموصوف الى مصدر الصفة، كما في قولنا: حاتم الجود، على معنى: حاتم الذي اختص بوصف الجود. وقد يراد به الدلالة على المدح، لأن العرب اذا مدحوا شيئا، فكثيراً مايضيفون الموصوف الى

(٨٤) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ١٣/ ١٢٣، و: ٧/ ٢٤٩و: ١٢/ ٢٩٢، ٢٩٥.
(٨٥) ينظر: مشكل اعراب القرآن: ١/ ٢٥١.
(٨٦) ينظر: م. ن ١/ ٣٣٤.

مصدر الصفة[٨٧]. وقد ورد كثيراً من ذلك في التعبير القرآني، نحو: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾[سورة الإسراء: ٨٠]، وقوله ﴿ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾[سورة يونس: ٢]، و أيضا قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ ﴾ [سورة يونس: ٩٣].

ومن هنا يمكن القول إنَّ: إضافة المنعوت الى نعته اسلوب قراني يأتي لغرض دلالي: كالتوكيد والبيان، او لغرض الاختصاص متضمنا معنى التوكيد، او لغرض المدح المراد به التوكيد. وهو اسلوب ظاهر مرجح، وتأويله تعسف وتعقيد للدرس النحوي.

٨. جواز عطف الفعل الماضي على المستقبل(*):

ولقد تابعهم كل من الطبري[٨٨] في تفسير قوله ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ ﴾ [سورة البقرة: ٢٦٦]، اذ ذكر: أن عطف (واصابه الكبر) وهو فعل ماض فعطف به على قوله (أيود أحدكم) جائز، لأن قوله (أيود) يصح ان يوضع فيه (لو) مكان (ان)، فلما صلحت بـ (لو)، و(ان) ومعناهما جميعاً الاستقبال، أجازت العرب ان ترّد (فعل) بتأويل (لو) على (يفعل) مع (ان)، فلذلك قال: فاصابها. وكذلك الشيخ الطوسي[٨٩]، والثعلبي[٩٠]. على إن توجيه الكوفيين بهذا الجواز، يأخذ بالظاهر دونما حاجة الى تأويل أو تقدير، فضلا عن جمالية القيمة الدلالية باستعمال الفعل الماضي بدلا من المضارع.

٩. جواز عطف الظاهر على المضمر من دون تأكيد(*):

(٨٧) ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٢/ ٢٤٥-٢٤٨.

(*) مذهب كوفي، ينظر معاني القرآن للفراء: ١/ ١٧٥.

(٨٨) ينظر: جامع البيان (تفسير الطبري): ٣/ ٩٤.

(٨٩) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٢/ ٣٤٠.

(٩٠) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ٢/ ١٠٢-١٠٣.

(*) مذهب كوفي، ينظر معاني القرآن للفراء: ١/ ٣٠٤، و: مشكل اعراب القران: ١/ ٦٩٢.

أي جواز العطف على الضمير المرفوع المتصل في اختيار الكلام، وقد ذهب الطبري[٩١] في تفسير قوله تعالى ﴿ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [سورة النجم: ٦] الى القول: عطف بقوله: ﴿وَهُوَ﴾ على ما في قوله: ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾ من ذكر محمدﷺ، والأكثر من كلام العرب إذا أرادوا العطف في مثل هذا الموضع أن يظهروا كناية المعطوف عليه، وتابع كلٌ من الشيخ الطوسي[٩٢]، والثعلبي[٩٣] الكوفيين بالقول في ذلك الجواز. والحقيقة ان جواز العطف على الضمير المرفوع دون فصل او توكيد يُعَدُّ تحرراً من كل مايعوق التذوق لروح النص من قيود الإطِّراد، فهو اقرب الى روح الدرس اللغوي[٩٤]. وإنَّ الكوفيين لم يقولوا بذلك الجواز عبثاً، بل نظروا الى ما ورد منه في القرآن الكريم وكلام العرب، فوجدوه كَمَّاً لايمكن اغفاله.

١٠. جواز العطف على المحل (الموضع)(*):

ذهب الطبري[٩٥] الى جواز العطف على المحل متابعة منه الى الكوفيين، ففي تفسير قوله تعالى ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ [سورة البقرة: ٨٣]، أشار الى أن: قوله جل ثناؤه ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ عطف على موضع (أن) المحذوفه في (لاتعبدون الا الله)، وذهب الشيخ الطوسي متابعاً الطبري والكوفيين في القول بجواز العطف على الموضع[٩٦]، وتابعهم في ذلك كلٌ من السمرقندي[٩٧]، والثعلبي[٩٨]، وإبن زمنين[٩٩]،

(*) مذهب كوفي، ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢/ ٣٤٨.

(٩١) ينظر: جامع البيان (تفسير الطبري): ٢٧/ ٤١، و: ٢٢/ ٥٠٠.

(٩٢) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٩/ ٤١١.

(٩٣) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ١٣/ ٥.

(٩٤) ينظر: الدرس النحوي في القرن العشرين: ٢٣١.

(٩٥) ينظر: جامع البيان (تفسير الطبري): ٢/ ٢٩٠-٢٩١.

(٩٦) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ١/ ٣٢٥.

(٩٧) ينظر: تفسير بحر العلوم: ١/ ٧٦-٧٧.

(٩٨) ينظر: الكشف والبيان: ١/ ١٤٦، و: معاني القرآن للفراء: ١/ ٥٣.

(٩٩) ينظر: تفسير ابن زمنين: ١/ ٢٠.

والواحدي[١٠٠].

١١. جواز ادخال الفاء في الخبر، اذا تضمن المبتدأ معنى الشرط والجزاء[*]:

ذهب الكوفيون الى ذلك الجواز، وقد تابعهم المفسرون في ذلك. فنجد الطبري[١٠١] ذهب الى ذلك الجواز عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [سورة المائدة: ٣٨]، فذكر: يقول -جل ثناؤه -: ومن سرق من رجل أو امرأة، فاقطعوا، أيها الناس، يده، ولذلك رفع (السارق والسارقة) لأنهما غير معينين، ولو أُريد بذلك سارق او سارقة باعيانهما لكان وجه الكلام النصب. وقد روي عن عبد الله بن مسعود انه كان يقرأ ذلك: (والسارقون والسارقات) أي ان القراءة بالرفع ايضاً، وهذا يؤكد قراءة الرفع، فهي الوجه. وتابعهم بالقول في هذا الجواز كلٌ من الشيخ الطوسي[١٠٢]، والسمرقندي[١٠٣]، والقشيري[١٠٤]، والثعلبي[١٠٥]. أي: ان المبتدأ اذا تضمن الشرط والجزاء كـ(الاسماء الموصولة والنكرات الموصوفة، اذا كانت الصلة او الصفة فعلاً او ظرفاً) جاز ادخال الفاء بالخبر، كقوله (والسارق) وقوله (والزانية) كذلك، لأن (الالف واللام) فيهما بمنزلة (الذي)، اذ لايراد به سارق او زانٍ بعينه.

وعليه فان متابعة المفسرين للكوفيين في هذه المسألة، هو الأقرب الى الصواب من غيره، لأنه يمثل المعنى الذي يحتمله تفسير الآية، إذ إن معنى الابتداء في تكرار هذين اللفظين فيه

(١٠٠) ينظر: تفسير الوجيز: ١/ ٢٣.

(*) مذهب كوفي، ينظر: معاني القرآن للفراء: ١/ ٣٠٦، و: ٣/ ١٨، و: مشكل إعراب القرآن: ١/ ٢٢٥.

(١٠١) ينظر: جامع البيان (تفسير الطبري): ١٠/، ٢٩، و: ينظر: معجم القراءات القرآنية: ٢/ ٢٠٨.

(١٠٢) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٣/ ٥١٢-٥١٣.

(١٠٣) ينظر: تفسير بحر العلوم: ١/ ٤٧٣، و: ينظر: معجم القراءات: ٢/ ٢٠٨.

(١٠٤) ينظر: تفسير القشيري: ٢/ ١٢٠.

(١٠٥) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ٢/ ٤٤٨.

تمثيل لحقيقة العموم الذي يقصده النص لا التخصيص الذي يوحيه الابتداء لفعل الأمر[١٠٦].

١٢. جواز نعت المعرفة (الأسماء الموصولة) بالنكرة[*]:

أي: المعرفة التي بصلتها كالنكرات- لا كالمعارف، فذهب إلى ذلك الجواز الطبري[١٠٧] ففي تفسير قوله تعالى ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم غَيرِ ٱلمَغضُوبِ عَلَيهِم وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾[سورة الفاتحة: ٧]، ذكر: أن الخفض لـ -غير -يأتيها من وجه: أن تكون صفة لـ(الذين) ونعتاً لهم لتخفضها.

وذهب الشيخ الطوسي[١٠٨] إلى ذلك الجواز، وتابعهم إبن زمنين[١٠٩]، وكذلك الثعلبي[١١٠].

١٣. جواز الفصل بجملة بين اسم إنَّ وخبرها[*]:

أراد الكوفيون بذلك الابتعاد عن التقديرات والتأويلات، فضلا عما فيه من تقوية للكلام وتسديد أو تحسين. وتابعهم فيه الطبري[١١١]. وكذلك الشيخ الطوسي[١١٢] والسمرقندي[١١٣].

١٤. جواز عطف الفعل المضارع على الصفة المشبهة[*]:

ذهب الطبري[١١٤] الى القول بذلك في تفسير قوله تعالى ﴿إِذ قَالَتِ ٱلمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَريَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنهُ ٱسمُهُ ٱلمَسِيحُ عِيسَى ٱبنُ مَريَمَ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنيَا وَٱلأَخِرَةِ وَمِنَ ٱلمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلمَهدِ وَكَهلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [سورة

(١٠٦) ينظر: مشكل إعراب القرآن: ١/ ٢.
(*) مذهب كوفي، ينظر معاني القرآن للفراء: ١/ ٧.
(١٠٧) ينظر: جامع البيان (تفسير الطبري): ١/ ١٨٠ومابعدها.
(١٠٨) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ١/ ٤٠-٤١.
(١٠٩) ينظر: تفسير ابن زمنين: ١/ ٢.
(١١٠) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ١/ ٤٣.

(*) مذهب كوفي: ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢/ ١٤٠-١٤١.
(١١١) ينظر: جامع البيان (تفسير الطبري): ١٨/ ١٦.
(١١٢) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٢/ ٣٥.
(١١٣) ينظر: تفسير بحر العلوم: ٢/ ١٨.
(*) مذهب كوفي، ينظر: معاني القرآن للفراء: ١/ ٢١٣.
(١١٤) ينظر: جامع البيان (تفسير الطبري): ٦/ ٤١٦-٤١٧.

ال عمران: ٤٥ -٤٦]. وتابعه الشيخ الطوسي[١١٥] في تفسير قوله تعالى ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [سورة آل عمران: ٤٦].

١٥. عدم جواز عطف الجحد على الاستثناء، أي: مجيء (لا) بمعنى (غير)(*):

ولقد ذهب الطبري إلى ذلك[١١٦]. عند تفسير قوله تعالى ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ وتابعه الشيخ الطوسي[١١٧]، والثعلبي[١١٨]. والحقيقة أن مسألة جواز العطف بالجحد على الجحد التي ذهب اليها الكوفيون، نجد لها صدى في دراسات المحدثين، فالمستشرق الالماني (براجستراسر) في باب النفي من كتابه (التطور النحوي) ومن دون الاشارة الى الكوفيين في هذا الشأن يذكر[١١٩]: واما (غير) فهي اسم معناه مختلف عن الشيء الذي اضيفت له، فالشيء الموصوف بها ليس بالشيء المضاف اليه، وهذا هومعنى النفي، ومما يظهر ان (غير) تعد بين ادوات النفي، اذ عطف (ولا) عليها نحو: (غير المغضوب عليهم ولا الضالين).

وحين نجد مثل هذه الدراسات الحديثة تطابق ماذهب اليه الكوفيون في أغلب مباحثه، فيمكن القول: من الانصاف إبراز واظهار النحو الكوفي وتوجيه زمام البحث اليه.

١٦. عدم جواز خفض الاسم بغير خـــافض(*):

و ذهب الطبري اليه[١٢٠] في تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾

(١١٥) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٢/ ٤٦١.

(*) مذهب كوفي، ينظر: معاني القرآن للفراء: ١/ ٨.

(١١٦) ينظر: جامع البيان (تفسير الطبري): ١/ ١٨٠ -١٨٤.

(١١٧) ينظر: التبيان في تفسير القران: ١/ ٤٠ فما بعدها.

(١١٨) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ٤١١١ وما بعدها.

(١١٩) ينظر: التطور النحوي: ١٧١.

(*) مذهب كوفي، ينظر: معاني القرآن للفراء: ١/ ٣٥٢.

(١٢٠) ينظر: جامع البيان (تفسير الطبري): ١٢/ ٦٥ -٦٧.

[سورة الأنعام: ١١٧]، وتابعه الشيخ الطوسي في ذلك المنع[١٢١] وكذلك الثعلبي[١٢٢].

١٧. نصب الفعل المضارع بـ (حتى) نفسها(*):

ولقد ذهب الطبري[١٢٣] الى ذلك في تفسير قوله تعالى ﴿ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ ﴾[سورة البقرة: ٢١٤].

وتابعه الشيخ الطوسي[١٢٤] في تفسير قوله تعالى ﴿ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ [سورة البقرة: ١٢٠]، وكل من السمرقندي[١٢٥]، والثعلبي[١٢٦].

(١٢١) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٤/ ٢٤٩-٢٥٠.

(١٢٢) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ٥/ ٢٨٢.

(*) مذهب كوفي، ينظر: معاني القرآن للفراء: ١/ ١٣٢.

(١٢٣) ينظر: جامع البيان (تفسير الطبري): ٢/ ١٩٩، و: ٧/ ١٠.

(١٢٤) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ١/ ٤٤٠.

(١٢٥) ينظر: تفسير بحر العلوم: ١/ ١٧٨، و: ينظر: إتحاف الفضلاء: ١٥٦، و: معجم القراءات القرآنية: ١/ ١٦٥.

(١٢٦) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ١/ ٤٢٢.

١٨. النصب على الصرف (الخروج- الخلاف)(*):

ذهب الكوفيون الى نصب الفعل المضارع بعد (الواو، والفاء، و أو) على الصرف اذا ماعطف على مسبوق بنفي أو طلب من غير إعادة العامل. وذهب البصريون الى ان هذا النصب وقع بـ(ان) مضمره[١٢٧]. ولقد تابع الطبري[١٢٨] الكوفيين في النصب على الصرف (الخروج) في تفسير قوله تعالى ﴿ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [سورة آل عمران: ١٤٢]، وكذلك الشيخ الطوسي[١٢٩]، والسمرقندي[١٣٠]، والثعلبي[١٣١].

(*) مذهب كوفي، ينظر: معاني القرآن للفراء: ١/ ٣٤، ١٩١، و٣: ٢٠٨.

(١٢٧) ينظر: الكتاب: ٣/ ٤١ -٤٢، و: الإنصاف في مسائل خلاف: مسألة ٧٥، ص ٥٥٥.

(١٢٨) ينظر: جامع البيان (تفسير الطبري): ٧/ ٢٤٧، و: م. ن: ٢١/ ٤٣.

(١٢٩) ينظر: التبيان في تفسير القران: ٢/ ٢ -٣، و: ٩/ ١٥٩.

(١٣٠) ينظر: تفسير بحر العلوم: ٤/ ٩٧.

(١٣١) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ١/ ١٢٣.

١٩. نصب الفعل المضارع المقرون بالفاء على جواب (لعل)(*):

ذهب الطبري(١٣٢) الى ذلك الجواز في تفسير قوله تعالى ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ ﴾[سورة غافر: ٣٦]، وذهب الشيخ الطوسي(١٣٣) الى ما ذهب اليه الطبري في تفسير الآية نفسها. وتابعهم السمرقندي(١٣٤).

٢٠. عمل (مافيه معنى القول) عمل (القول نفسه)(*):

٢١. أجاز الكوفيون ومن باب التيسير اعمال مافيه معنى القول عمل القول نفسه، أي (حمل النص على الظاهر). وتابعهم المفسرون في هذا الجواز. وقال به الطبري(١٣٥) في قوله ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ ﴾ [سورة البقرة: ١٣٢]. وكذلك الشيخ الطوسي(١٣٦)، والثعلبي(١٣٧).

ثالثاً:

أثر الحمل على الظاهر في تفسير القرآن:

قبل الخوض في بيان الأثر لـ(الحمل على الظاهر)، لعلي أجد ان من المناسب جداً الاشارة الى ان (الحمل على الظاهر) في حقيقته قضية على طريق التيسير النحوي، لأن انتهاجه يبعد عن التاويلات والتقديرات والتعليلات التي تنتجها نظرية العامل، ومِن ثَمَّ اثقلت كاهل الدرس النحوي، وأدّت الى التبرم والنفور اللذين يواجه بهما

(*) مذهب كوفي: ينظر: معاني القرآن للفراء: ٣/ ٩.

(١٣٢) ينظر: جامع البيان (تفسير الطبري): ٢١/ ٣٨٧ وما بعدها، و: ٢٤/ ٢١٩-٢٢٠.

(١٣٣) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٩/ ٧٤، و: ١٠/ ٢٥.

(١٣٤) ينظر: تفسير بحر العلوم: ٤/ ٥٩، و: ٤/ ٣٦٩.

(*) مذهب كوفي، ينظر: معاني القرآن للكسائي: ٧٩، و: معاني القرآن للفراء: ١/ ٨٠.

(١٣٥) ينظر: جامع البيان (تفسير الطبري): ٣/ ٩٤ -٩٥، و: ٣/ ٢٣٥ ـ ٢٣٧و: ينظر: لسان العرب: ١٣/ ٢٣٢.

(١٣٦) ينظر: التبيان في تفسير القران: ١/ ٤٧٢-٤٧٣.

(١٣٧) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ١/ ٢٤٦-٢٤٧.

الدراسون للنحو العربي. اذ ان نظرية العامل جعلت النحويين ان يوغلوا في تفسير الظواهر الاعرابية المختلفة في الاسماء والافعال، بتأثير عوامل لفظية اومعنوية، ومن هنا بدأت سلسلة المتاعب تكتنف طريق الدرس النحوي، وتعترض مسيرة الدارسين، زيادة على ان اساليب اللغة الفصحى اخذت تتعرض الى سيل من التاويلات والتفسيرات التي لاتخدم قضية المعنى ولا تيسر سبيل الدرس النحوي.

واذا ما اردنا معرفة عائدية (الحمل على الظاهر)، فيمكن القول بشكل جازم، ومن خلال البحث والتقصي في الكتب النحوية أن: الحمل على الظاهر من الخصائص البارزة في النحو الكوفي، وفي هذا تأكيدها الابتعاد عن التعقيدات النحوية والتقديرات والتاويلات، وهذا ما يدعونا الى أن نقول: إنَّ الدعوة باتجاه التيسير برزت من بين صفوف النحو الكوفي. على ان هذا القول يجعلنا نختلف مع جميع الذين يذهبون الى أن دعوة ابن مضاء القرطبي (٥٩٢هـ) تُعد الدعوة الاولى باتجاه التيسير، وقد وجدت صداها في العصر الحديث لدى عدد من المهتمين باللغة العربية متمثلة بجهد الاستاذ ابراهيم مصطفى[١٣٨] في كتابه (إحياء النحو) عام ١٩٣٧، علماً اننا متيقنون من ان اول صدى لدعوات التيسير في العصر القديم مَثَّلها النحو الكوفي.

والنحو الكوفي هو التوأم للنحو البصري، ومنهما كان النحو العربي. وعلى الرغم من تأخر النحو الكوفي في نشأته عن توأمه البصري، الا انه كوَّن مركزاً ثانياً مهما للدراسات النحوية الى الحد الذي اصبح منافساً للنحو البصري. ويُعَدّ الكسائي (١٨٩هـ) اول من ثبت اركان الدرس النحوي في الكوفه.

ان الحمل على الظاهر لا يمثّل قاعدة من دون شواذ، اذ احيانا قد يؤدى بالانسان للالحاد بصفات الله تعالى، ونسبة امور فيها النقص له، سبحانه عما يصفون. فمثلاً قصة اليهودي بين

(١٣٨) تيسير النحو وبحوث اخرى، د. خديجة الحديثي: ٣.

أبي بكر رضي الله عنه ورجل من اليهود يدعى فنحاص[١٣٩]، حين دعاه ابو بكر الى الايمان بقوله (اتق الله وامن واقرض الله قرضا حسنا)، فقال فنحاص: يا ابا بكر تزعم ان ربنا فقير يستقرض اموالنا، فانزل الله تعالى ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ﴾. فهنا الاخذ بظاهر النص لمعنى الاقراض أوقع اليهودي بالكفر، نتيجة جهله وعدم استيعابه الناحية البلاغية وأخذه بحرفية العبارات.

إذن الأخذ بـ (الحمل على الظاهر) يتطلب الماماً تاماً بقواعد العربية وفنونها البلاغية حتى لاتكون شطحة ًباتجاه الكفر. فقوله تعالى﴿وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾[سورة الجاثية: ٣٤]، فمن الطبيعي ان النسيان المضاف الى لفظ الجلالة (الله) تعالى في الآيات الكريمة المذكورة ليس على معناه الحقيقي، الذي هو(ضد الذكر والحفظ).

وقد أجمع اللغويون والمفسرون[١٤٠] على أن النسيان هنا بمعنى الترك والتخلي، فذهب ابن منظور الى قول ثعلب: بأن الله تعالى لاينسى وإنما معناه تركوا الله فتركهم، فلما كان النسيان ضربا من الترك وضعه موضعه، ولذلك قلنا: إن الحمل على الظاهر لايمثّل قاعدة من دون شواذ.

ولذلك فاني اخلص الى القول: ان ما جاء به الكوفيون من مواضع حملوا فيها النصوص على ظاهرها، ومتابعة مفسري القرنين الرابع والخامس لهم في تلك المواضع، وامتدادها الى العصر الحديث، مرورا بابن مضاء القرطبي، هو بذرة متقدمة لفكرة التيسير النحوي التي ينادي بها المحدثون. وهم بهذا أصحاب

(١٣٩) ينظر: جامع البيان (تفسير الطبري): ٤/ ١٢٩.

(١٤٠) ينظر: جمهرة اللغة: ١/ ١٠٧، و: الصحاح في اللغة: ٢/ ٢٠٧، و: مجالس ثعلب: ١/ ٢٨٦، و: جامع البيان (تفسير الطبري): ١٤/ ٣٣٩، و: تفسيرالنكت والعيون: ٢/ ١٢٢، و: التبيان في تفسير القرآن: ٥/ ٢٤٧، و: تفسير الوجيز: ١/ ٢٩١.

دعوة الى تبني (نظرية نحو قرآني)، وما دعوة الدكتور أحمد مكي الأنصاري الى وجوب اعتماد القرآن مصدرا أساسا في كل تقعيد أوتقنين[١٤١]، إلّا استمرارا لتلك الدعوة. ويترتب على القول المذكور: أن المنهجية الوصفية التي يعتمدها الدرس النحوي الحديث، هي القاعدة الرصينة التي أسسها الكوفيون وزرعوا بذرتها، واستمرت الى اليوم.

الخاتمة ونتائج البحث

بعد أن انتهيت بعون الله تعالى من محاولة بيان أثر (ظاهرة الحمل على الظاهر) بوصفها واحدة من أهم خصائص النحو الكوفي في تفسير القرآن، وبذلت فيها غاية جهدي متوخياً أهدى السبل الى توضيح ذلك وبيان أثره، عبر متابعة دقيقة لقواعد النحو الكوفي التي تأثر بها أصحاب التفاسير في القرنين الرابع والخامس للهجرة، هذه التفاسير التي تنوعت مذاهب مؤلفيها واختلفت؛ الاّ انها اتفقت جميعاً على أن تتأثر بما تركته هذه الظاهرة المتميزة في النحو الكوفي وما آلت اليه من قواعد نحوية خاصة به، وآراء أضافتها الى قواعد النحو البصري، ومصطلحات نحوية، وهذا تطلب العودة الى مصادر النحو الكوفي التي تحتاج اليها المكتبة العربية عامة، والنحوية خاصة، فحاولت جاهدا ما استطعت الى ذلك سبيلا، وعلى هذا لابد لي من تلخيص أبرز النتائج التي توصّل اليها البحث، هي فيما يأتي:

- ظهر للباحث بوضوح، أنه لايمكن تجاهل النحو الكوفي، لأن كثيراً من الآيات القرآنية قد فُسِّرَتْ حملاً على توجيه الكوفيين، الذي تمثّل بتأسيس منظومة نحوية تخضع فيها القاعدة النحوية الى النص، أي انهم أسسّوا لتعديل القواعد النحوية على وفق النصوص القرآنية، وهذا يُعدّ انتصاراً لمنطق اللغة الذي يستحسن اخضاع القاعدة للنص وليس العكس، أي أن النحو الكوفي حقيقة من حقائق النحو العربي الى جانب النحو البصري، وأثره واضح في التفسير.
- تبيَّن من البحث ان توجيه الكوفيين،

(١٤١) ينظر: نظرية النحو القرآني: ١٠ ومابعدها.

ترتَّب عليه زيادة قواعد نحوية كوفية جديدة الى قواعد النحو العربي، وزيادة آراء نحوية كوفية الى القواعد النحوية الموجودة أصلا، ومصطلحات نحوية كوفية زيدت على مصطلحات النحو العربي، وان ماذهب اليه الكوفيون يُعدُّ تمثيلا حقيقياً للغة.

- أوضح البحث ميل الكوفيين في كثير من المواضع الى حمل النصوص على ظاهرها، وهجر التأويل البعيد الذي يحمّل النص ما لايطاق، وتأكّد ذلك من خلال أكثر من ثلاثين مسألة نحوية حملها المفسرون على ظاهرها متابعين خطى الكوفيين في ذلك.
- تأثَّر مفسرو القرآن بالنحو الكوفي- بوضوح -على أنَّ هناك تفاوتاً يسيراً في ذلك الاثر، واذا ما أدركنا أن الاثر والتأثير هما نتيجة تلاقح فكري بين آراء النحويين والمفسرين، فهذا يؤكد نشاط مفسري القرآن في هذه المدة الزمنية عبر بحثهم ودراستهم للقواعد النحوية، ومِن ثَمَّ تأثّرهم بما هو أصّح في توجهاتهم.
- تيقّن البحث من امكان عدّ كتب التفسير (التي ألّفت المادة العلمية للبحث)، مصادرَ للنحو الكوفي، لأنها جمعت أغلب قواعد النحو الكوفي، واغلب الآراء التي زادها الكوفيون للقواعد الموجودة أصلاً، واغلب المصطلحات التي اسس لها الكوفيون.
- أثبت البحث من خلال تقصّي مصادر النحو الكوفي، أن الكوفيين هم أوائل الذين زرعوا بذورا صوب التيسير النحوي، بدءاً من حملهم النصوص على ظاهرها وهو يُعَدُّ من مظاهر التيسير النحوي لتجنبه التأويل البعيد واثقال النصوص بما لاينبغي.
- اثبت البحث كوفية الشيخ الطوسي في مذهبه النحوي، عبر تأثره بأغلب قواعد النحو الكوفي ومصطلحاته، فضلا عن متابعته الطبري في اللغة والنحو، إلاّ ان استاذنا الدكتور الفاضل كاصد الزيدي في دراسته لمنهج الشيخ الطوسي في تفسيره

يقول ببغدادية الشيخ الطوسي في مذهبه النحوي، فنحن نقول فضلا عمّا اثبته البحث، هناك عدم اعتقاد بوجود مدارس نحوية سوى البصرية والكوفية، ويبدو أن رأي الدكتور الزيدي مقبول عندي ذلك أن الشيخ الطوسي لم يكن متشددا في آرائه النحوية كتشدد البصريين، زيادة على اعتداله في توجيهاته لكثير من المسائل النحوية.

- تبين من البحث ان اغلب المفسرين كالطبري والشيخ الطوسي والسمرقندي والماوردي والواحدي هم من النحويين، وهذا مايؤصل لآرائهم في التفاسير.
- تيقن الباحث أن أثر النحو الكوفي لم يقتصر على المفسرين، بل ترك أثره الواضح على مؤلفات علماء اللغة في القرن الرابع الهجري، منهم: الزجّاج، وأبوعلي الفارسي، وابن جني وغيرهم، وقد تبين ذلك الأثر عبر متابعة مؤلفاتهم.
- يتجلى الأثر الكوفي في تفسير القرآن بالأثر اللغوي والبلاغي والعقائدي، ولكن الأثر اللغوي هو الأهم لما ترتب عليه من تأسيس لمنظومة نحوية، أو توجيه للمعنى الذي يترتب عليه حكم فقهي.

إهم روافد البحث

- خير ما نبتدىء القول به: القرآن الكريم.
- أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة، الدكتور احمد مكي الأنصاري، القاهرة،، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.
- اتحاف فضلاء البشر في القراءات الاربعة عشر، شهاب الدين احمد بن محمد الدمياطي الشهير بالبنّاء (١١١٧هـ)، وضع حواشيه الشيخ أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦ م.
- إعراب القرآن، لأبي جعفر احمد بن النحاس (٣٣٨هـ)، تحقيق: الدكتور زهير غازي زاهد، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.

- الإنصاف في مسائل الخلاف كمال الدين أبي البركات الانباري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي.
- تفسير القرآن العزيز، المشهور بتفسير ابن زمنين، تحقيق: محمد حسن محمد حسن اسماعيل، وأحمد فريد المؤيدي، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ١٤٢٤هـ–٢٠٠٣م.
- تفسير بحر العلوم المسمى (تفسير السمرقندي)، لأبي الليث نصر بن أحمد بن ابراهيم السمرقندي (٣٧٥هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الرحيم أحمد الزقّة، الطبعة الاولى، مطبعة الارشاد، بغداد ١٩٨٥م.
- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٩٧٢م.
- التأويل النحوي في القرآن الكريم، الدكتور عبد الفتاح الحموز، الرياض، الطبعة الأولى ١٩٧٥م، مكتبة الرشد، ١٤٠٤هـ–١٩٨٤م.
- التبيان في تفسير القرآن، ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (٤٦٠هـ)، تحقيق وتصحيح: احمد حبيب العاملي، دار احياء التراث العربي.
- التبيين عن اختلاف النحويين البصريين والكوفيين، أبي البقاء العكبري (٦١٦هـ)، تحقيق ودراسة الدكتور عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، الدار اللبنانية بيروت، الطبعة الاولى ١٤٣٣هـ–٢٠١١م.
- تفسير الكشف والبيان، الثعلبي (٤٢٧هـ)، دراسة وتحقيق الامام ابي محمد بن عاشور، مراجعة الاستاذ نظير الساعدي، دار احياء التراث العربي، بيروت –لبنان، ١٤٢٢هـ –٢٠٠٢ م.
- تفسير النكت والعيون، المشهور بتفسير الماوردي (٤٥٠هـ)، راجعه وعلق عليه السيد ابن عبد المقصود، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان.
- جامع البيان المعروف بتفسير الطبري (٣١٠هـ)، ضبط وتعليق: محمود شاكر الحرستاني، تصحيح: علي عاشور، دار احياء التراث العربي،

بيروت –لبنان.
- الجنى الداني في حروف المعاني، صنعة الحسن بن قاسم المرادي (٧٤٩هـ)، تحقيق: الدكتور فخر الدين قباوة، والاستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، الطبعة الاولى ١٤١٣هـ –١٩٩٢م.
- الحروف العاملة في القرآن الكريم بين النحويين والبلاغيين، اعداد: هادي عطية مطر الهلالي، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت الطبعة الاولى ١٤٠٦هـ –١٩٨٦م.
- الخلاف بين النحويين (دراسة–تحليل–تقويم)، الدكتور سيد رزق الطويل، مكة المكرمة، المكتبة الفيصلية، الطبعة الاولى ١٤٠٥ هـ.
- شرح التسهيل (ابواب النحو) لابن أم قاسم المرادي (٧٤٩هـ)، تحقيق: محمد عبد النبي محمد، مكتبة الايمان، المنصورة، مصر، الطبعة الاولى ١٤٢٧هـ –٢٠٠٦ م.
- الكـتاب –سيبويه –(١٨٠هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٢٥هـ–٢٠٠٤ م.
- المحتسب في تبيين وجه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح بن جني (٣٩٢هـ)، تحقيق: علي النجدي ناصف لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٣٨٦هـ.
- مجالس ثعلب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مطابع دار المعارف بمصر ١٩٦٠م.
- مشكل اعراب القرآن، ابو محمد مكي بن ابي طالب القيسي (٤٣٧هـ)، تحقيق: الدكتور حاتم صالح الضامن، دار الحرية للطباعة، بغداد، الطبعة الثالثة ١٩٧٥ م.
- المصطلح النحوي، نشأته وتطوره حتى اواخر القرن الثالث الهجري، عوض حمد القوزي، الطبعة الاولى ١٤٠١هـ –١٩٨١م.
- معاني القرآن، لعلي بن حمزة الكسائي (١٨٩هـ)، أعاد بناءه وقدم له: الدكتور عيسى شحاته عيسى، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٨٨م.

- معاني القرآن، تأليف: أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (٢٠٧هـ)، تحقيق: احمد يوسف نجاتي –محمد علي النجار، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠ م.
- شرح الرضي على الكافية، تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر.
- شرح المفصّل، بن يعيش النحوي (٦٤٣هـ)، قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه، الدكتور أميل بعقوب، الطبعة الاولى، دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م.
- همع الهوامع شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، والدكتور عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت ١٩٧٥ م.
- النشر في القراءات العشر، أبو الخير الدمشقي، الشهير بابن الجزري (٨٣٣هـ)، قدم له على محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ١٤٢٧هـ –٢٠٠٦م.
- مغني اللبيب عن كتب الاعاريب، ابن هشام الانصاري المصري (٧٦١هـ)، حققه وفصله وضبط غرائبه محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني، القاهرة.
- المقتضب، صنعة ابي العباس محمد بن يزيد المبرد (٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، ١٤١٥هـ –١٩٩٤ م.
- نشأة النحو وتاريخ اشهر النحاة، الشيخ محمد الطنطاوي، تعليق عبد العظيم الشناوي، ومحمد عبد الرحمن الكردي، الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ.
- مدرسة البصرة النحوية، نشأتها وتطورها، الدكتورعبد الرحمن السيد، دار المعارف، مصر، الطبعة الاولى ١٣٨٨هـ.
- معجم القراءات القرآنية، مع مقدمة في القراءات وأشهر القرّاء، اعداد الدكتورعبد العال سالم مكرم، جامعة الكويت، دار الاسوة للطباعة والنشر، الطبعة الثانية.